حداد أحمد

جامعة منتوري قسنطينة.

# الجهود الإصلاحية والأعمال الوطنية للشيخ أحمد حماني قبل وبعد استرجاع الاستقلال الوطني.

**ملخص:**

سأتناول في هذه الدراسة شخصية إصلاحية ووطنية، ساهمت في الحفاظ على هوية الشعب الجزائري. وسأتطرق للأفكار والقيم والمناهج التي اتبعها الشيخ أحمد حماني في مسيرته النضالية، في الجزائر خلال فترة الاستعمار الفرنسي لبلادنا وبعد استعادتنا للسيادة الوطنية.

**الكلمات المفتاحية:** الإصلاح، الجهور، الأعمال، أحمد حماني.

***Summary**:*

*In this study, I will address a reformist and patriotic figure who has contributed to preserving the identity of the Algerian people. I will address the ideas, values and approaches that Sheikh Ahmed Hamani followed in his struggle in Algeria during the French colonial period of our country and after our restoration of national sovereignty.*

***Key words:** reform, public, business, Ahmed Hamani.*

**مقدمة:**

فحياته كانت كلها نضالا بل وجهادا حقيقيا على جبهات متعددة:

الجبهة الأولى:مقاومة الجهل والأمية ،اللذين فرضا على المجتمع الجزائري من جراء وجود الإحتلال الفرنسي ،الذي اتبع منذ أن وطئت أقدامه أرض هذا الوطن:سياسة التجهيل والإقصاء وتشريد الشعب الجزائري برمته.

أما الجبهة الثانية فكانت صراعا ضد البدع والخرافات التي سيطرت على عقلية الأمة الجزائرية، منذ إلحاقها قسرا بالاستعمار الفرنسي الذي كان يستهدف الهوية الوطنية بالاعتماد على المشعوذين وبعض شيوخ الزوايا، الذين دجنوا بعد الهزائم السياسية والعسكرية التي ألحقت بهم ،في نهاية الربع الثالث من القرن التاسع عشر.

أما الجبهة الثالثة فهي مقاومة الاحتلال الفرنسي ذاته.

وبعد الاستقلال واصل مترجمنا جهاده وعمله الدؤوب على جبهة رابعة ،وهي جبهة البناء والتشييد ومقاومة ما رسخ في أذهان من بقي من أعوان الاستعمار من أفكار غريبة بعيدة كل البعد عن المجتمع الجزائري العربي المسلم.

وفي هذه الجبهات الأربع برزت أعمال الرجل وفكره الإصلاحي تارة، وفكره الثوري تارة أخرى ،حيث كان يجمع بين العمل الإصلاحي لما أصاب الأمة في دينها ولغتها وتاريخها، وبين العمل الوطني الثوري لوقف مسيرة الاحتلال الفرنسي نفسه، سواء قبل ثورة الفاتح من نوفمبر1954 أو بعد اندلاع شرارتها الأولى.

تتمثل إشكالية هذا المداخلة في دراسة علم من أعلام الإصلاح والثورة والبناء، هدفها البحث عن الأعمال، المواقف والمبادئ التي تميزت بها شخصية مترجمنا وتحديد المعالم الكبرى للمجهود التاريخي والفكري الذي تركه الشيخ أحمد حماني، وبصماته في تاريخ الجزائر الحديث،خاصة وان مترجمنا مخضرم عاش فترة الإحتلال الفرنسي لبلادنا مدة سبع وأربعين(47) سنة كما عاش مرحلة الاستقلال بنحو ست وثلاثين(36) سنة وأفرغ طاقاته فيهما معا حتى أصيب بنزيف دماغي سنة1995 بسبب الإرهاق الناجم عن العمل المتواصل.

## 1- التعريف بالشيخ أحمد حماني: 1333-1419هـ-1915-1998م:

**1-أ-الميلاد والنشأة:** ولد أحمد بن محمد بن مسعود بن محمد حماني يوم الاثنين 26 شوال 1333هـ الموافق لـ 6 سبتمبر 1915 م بقرية آزيار من دوار تمنجر دائرة الميلية بلدية العنصر(*).لكن والده غيّر تاريخ الميلاد إلى 1920 حتى يكمل دراسته قبل أن يدركه التجنيد الإجباري الذي يسمى ظلما وزورا الخدمة

(*)- تبعد قرية آزيار بنحو 6 كلم عن العنصر(ولاية جيجل) ،توجد في مكان وعر شديد الانحدار، عسير الطريق معزول تماما، يبتدأ في قمة أحد الجبال التي يرى منها البحر المتوسط ثم ينحدر نحو الوادي العميق والمكان كله جبال خضراء.

العسكرية[1] . ينتسب الشيخ أحمد إلى عائلة مشهود لها بمقاومة الظلم ،ومنه الظلم الاستعماري، فقد رأى بنفسه بعض أنواع الأسلحة المحفوظة عند عمّه الصادق وهي لجدّهم الذي عاصر الاحتلال الفرنسي للمنطقة وقاومه بتلك الأسلحة ،كما لم يسجل التاريخ طيلة الاحتلال أن واحدا من العائلة تعاون– بالعمل في وظيفة بسيطة أو خطيرة– مع الفرنسيين حتى كتبت التقارير الفرنسية في تحرياتها عن المنتمين إلى عائلة حماني بأنهم من عائلة مشبوهة[2]

ويذكر حماني في مذكراته، حرص عائلته على تعليم أبنائها إلى جانب تدريبهم على الحياة ومشاقها من البداية ،يقول:" كنّا نقرأ القرآن ونعمل: نشارك في الحياة بمقدار جهدنا ،إذا أُخرجنا من الكُتاب أعطي لنا قطيع الجديان والخرفان للرّعي، وإذا جاءت غلة الزيتون عطلنا القراءة، وشاركنا في أعمال الجمع والالتقاط والعجن، ولما أخذنا ندرك تعلم الصلاة ،علّمنا والدي رحمه الله فرائضها وسننها وعلمنا رسم القرآن، ولما شببنا عن الطوق شاركنا بعمل أكثر في رعي قطيع الحيوانات وإطعامها العلف والحصاد والدرس وحراسة الحقول"[3].

هذه التنشأة في بيئة ريفية،لقّنت حماني دروسا لا تقدر بثمن، فتعلم معنى الصبر على الشدائد في وسط طبيعي تكثر فيها الصعاب، والأكثر من ذلك تعلم الإخلاص وصفاء السريرة كصفاء ونقاوة هواء البادية القليلة السكان، التي عادة ما تكون سالمة من الشرور ،التي تجد طريقها في مجتمعات كثيرة العدد، لكن دُوّار ازيار أين تربى حماني حوالي خمسة عشر سنة، سكانه معروفون والنظام القبلي لازال سائدا به، وعزلة هذه القرية فضل من الله على القرية وسكانها، وفي هذا الإطار يقول حماني:" وكانت هذه العزلة من فضل الله على السكان إذ كانوا لا يعرفون عن "الروامة" وشرورهم إلاّ بالسماع ولا يرون منهم إلاّ حارس الغابة، أو بعض رجال الدرك الذين كانوا يزورون الدوار لمطاردة الهاربين من شر فرنسا راكبين خيولهم.كما أن أخبار القرية وشؤونها لا يصل إلى مسامع العدو إلا قليلا حتى القايد قد أبعد الله شره عنها لأن مقره في "بني فتح" على بضعة أميال، وبينها وبين ازيار غابات ووديان فإذا جاء الفصل المطير انقطعت الطرق، لذلك كان سكان "ازيار" يعيشون في شبه جمهورية، لهم قوانين، ورئاسة العقلاء يطيعونهم في المعروف"[4] وكانت تلك السنوات كافية لتحصينه حين يباشر السفر طلبا للعلم، فيأمن شرور النفس ويتقوى على الشدائد التي تعترضه ومنها الفقر و قلة المال.

---

[1] – أحمد حماني: الصراع بين السنة والبدعة ،ج2، ط1،دار البعث،قسنطينة،الجزائر،1984، ص287.

[2] – المرجع نفسه،ص285.

[3] – أحمد حماني، وثيقة مكتوبة بالآلة الراقنة،تحصلت عليها من أرشيف عائلته.

[4] – أحمد حماني: شهداء علماء معهد بن باديس،والشيخ الصادق حماني،قصر الكتاب،2004،ص69.

**1-ب- تعليمه ورحلاته:** تلقى الشيخ أحمد حماني تعليمه الأول في مسقط رأسه على يد والده محمد الذي تتلمذ لمدة سبع سنوات في قسنطينة على يد محمد الصالح بن مهنا(*)،ثم دخل كُتّاب القرية وعمره خمس سنوات فتعلم شيئا من القرآن الكريم وبعض مبادئ التوحيد والفقه، أولا على يد الشيخ حمو بن العربي بودن ، وثانيا على يد معلم جديد قدم من "ميلة" ، حيث حفظ القرآن هناك، هو الشيخ يوسف بن المختار حماني، وهذا التغيير في المعلمين أحيانا راجع إلى أن بعضهم لا تكفيه أجرة التعليم الزهيدة فينقطع ليحصل على أجرة أكبر في موسم الحصاد[5].

بعد خمسة عشر سنة قضاها أحمد حماني بدوار ازيار، انتقل هو وابن عمه الصادق سنة1930 رفقة أخيه الشيخ محمود، تلميذ ابن باديس(*) ، إلى مدينة قسنطينة ،أين درس فيها أربع سنوات ، كان ينهل اثناء تواجده بها ، من مراكز العلم المنتشرة بأرجائها ومنها الجامع الأخضر وسيدي قموش. في البداية تعلم على يد الشيخ "أحمد الحبيباتني مرازقة" الذي كان يلقي درسه في مختصر خليل بزاوية عيساوة مع درس في التوحيد، فلازم دروسه لأن الزاوية العيساوية أقرب إلى الزاوية الطيبية، أين كان يقيم الطالب أحمد، ثم أصبح يتنقل ليحضر درس التفسير في الجامع الأخضر الذي يلقيه الشيخ عبد الحميد بن باديس وأول درس للتفسير سمعه عنه حول قوله تعالى:"وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين"(*) كما كان الشيخ يلقي دروسا في التربية من أحاديث صحيحة تحت عنوان من جوامع الكلام النبوية أو من أبيات شعرية، ويذكر حماني أنه سمع منه شرح قوله صلى الله عليه وسلم:"المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ولا تقل لو أني فعلت كذا وكذا، ولكن قل قدر

---

(*)- ولد محمد الصالح بن مهنا بقسنطينة سنة1854 ، كان من أكبر علماء عصره ، واصل تعليمه بالأزهر بمصر ثم رجع إلى قسنطينة بفكرة الإصلاح التي بثها الشيخ محمد عبده .توفي في 11 أفريل1910. المرجع:عبد الكريم بوصفصاف وآخرون:معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين،ج1، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري ،قسنطينة،دار الهدى،2002،ص 126.

5 - أحمد حماني،المصدر السابق،ص7.

*- هوعبد الحميد بن باديس(1889-1940) نذر نفسه-وهو في رعيان شبابه-لخدمة الجزائر دينيا،ثقافيا ،سياسيا واجتماعيا، ينتمي لعائلة تاريخية قسنطينية عريقة في المجد ،مارست الحكم منذ العصور الإسلامية حتى الإحتلال الفرنسي.درس إبن باديس في جامع الزيتونة مدة ثلاث سنوات وتخرج منها بشهادة التطويع، وعلى عادة خريجي الزيتونة علم ابن باديس سنة كاملة بها ليعود لمسقط رأسه قسنطينة ويباشر التدريس بها ونتيجة لظروف معينة سافر إلى المشرق لأداء فريضة الحج أين إحتك بمشائخ وعلماء نصحوه بالعودة إلى الجزائر التي تعاني الإحتلال الفرنسي المسيحي ، وفعلا عاد الشيخ عبد الحميد بن باديس ليواصل معاركه في إزالة حجاب الجهل عن الجزائريين ويرشدهم لمنابع الإسلام الصافية والإبتعاد عن الطرقية التي تعد مثابة الذراع الأيمن للاستعمار، وأسس لهذا الغرض جمعية العلماء المسلمين الجزائرين ،التي يعتبر أحمد حماني أحد تلاميذها. المرجع:عبد الكريم بوصفصاف وآخرون:معجم أعلام الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين،المرجع السابق،صص13،27.

(*)- سورة الكهف،الآية60.

الله ما شاء فعل"[6] ومن الشعر شعر حسان، النابغة الجعذي، المتنبي...وغيرها من الأشعار التي تبعث العزة في النفوس وتعلم الحكمة، وتغرس حب العرب والعربية ومن العلماء الذين أخذ عنهم العلم في هذه الفترة السعيد الزموشي و الشريف الصائغي:عن الأول أخذ النحو والصرف والفقه والتوحيد وعن الثاني الحساب والجغرافية والتاريخ ،كما كان يستفيد من دروس الفيلالي الخنقي، الفضيل الورتلاني ،محمد ميهوبي، محمد المليانى، عبد العالي الأخضري.. البرامج الدراسية هي دواوين شعر العرب،الأجرومية بشرح الشيخ خالد، الرسالة بشرح أبي الحسن، والصرف بمتن الزنجاني بشرح العزى والأربعين نووية . وخلال تواجده بقسنطينة كان الشيخ أحمد حماني مداوما على دروس الشيخ عبد الحميد بن باديس في الجامع الأخضر، يبتدئ الدرس الأول على الساعة الخامسة والنصف صباحا، والويل لمن لا يحضر في الموعد ،فقد كان الشيخ مهاب الجانب والطلبة يخشون الوقوف أمامه لسماع توبيخه أو تقريعه.كانت الدراسة تستمر حسب الطبقات المتوالية للجلوس أمامه، ويحضر الجميع صلاة الظهر حيث يستمعون منه، سرد كتاب المنذرى(الترغيب والترهيب) فقد كان يقرأ بعض الأحاديث دون شرح أو تعليق ومما يذكره حماني حديث الرسول صلى الله عليه وسلم:"لعن الله الراشي والمرتشي والماشي بينهما" ثم تستأنف الدراسة على الساعة الواحدة والنصف إلى صلاة العصر، ثم يخلد الجميع إلى الراحة واسترجاع الطاقة لحضور دروس التفسير و القوانين الفقهية بعد العشاء والتي يحضرها عامة الناس وأئمة جميع مساجد قسنطينة.[7] وخلال تلك السنوات الدراسية أصبح الصراع عنيفا بين جمعية العلماء وخصومها من الإستعمار وأعوانه[(*)]، خاصة بعدما يئسوا في سنة1932 من تجديد المجلس الإداري للجمعية بأعضاء يكونوا في خدمة الإحتلال الفرنسي .

وفي السنة الدراسية الأخيرة(1933–1934) واصل أحمد حماني الدراسة على يد معلمه عبد الحميد بن باديس الذي ارتقى بهم إلى ألفية بن مالك ،مختصر خليل، وجوهرة التوحيد في العقيدة وفي الأصول درسهم مفتاح الوصول إلى تطبيق الفروع على الأصول للشريف التلمساني ،وكان الشيخ معجبا بهذا الجزائري الذي درس على يد الشاطبي صاحب الموافقات، وفي الأدب كان الأستاذ يعتمد على كتاب الأمالي لأبي علي القالي، وكان عبد الحميد يتولى تفسير ما يرويه من نثر أو شعر ، ومما درسهم في الشعر معلقة عنترة بن شداد ،وكان يثير فيهم الحماسة وأخلاق أجدادهم العرب الذين رغم جاهليتهم إلا أن بعض أخلاقهم كانت رفيعة كإغاثة الملهوف، إكرام الضيف، نجدة المستغيث،الشجاعة... ويبدو أن تعلق حماني بالشعر يعود

---

[6] – أحمد حماني:المصدر السابق،ص ص12،11.

[7] – أحمد حماني :شهداء علماء معهد بن باديس،المصدر السابق،ص14.

[(*)]– ومن هؤلاء الخصوم الزاوية العليوية بمستغانم والتي تنسب إلى الشيخ بن عليوة :وهو أحمد بن مصطفي بن أحمد المستغانمي ابو العباس الشهير بالعلوي ولد1874، متصوف من أهل مستغانم وله زاوية فيها، عرف بعدائه الصريح للحركة الإصلاحية الإسلامية بقيادة جمعية العلماء توفي سنة1934. أنظرعبد الكريم بوصفصاف واخرون معجم أعلام الجزائر،ج1،مرجع سابق،ص104.

إلى هذه الفترة ، ويصرح لاحقا بمدى ولعه وحبه لشعر المتنبي، و كان الشيخ في مداخلاته غالبا ما يستشهد بأبيات من ديوانه.[8]

وبالموازاة مع التحصيل العلمي كان أحمد حماني خلال هذه السنة الدراسية الأخيرة يتكون ميدانيا وذلك بقراءة المقالات والردود، وزياراته إلى إدارة الشهاب ومطبعتها، ومشاركته في التحولات والصراعات التي شهدتها الساحة القسنطينية، أبرزها حضوره الفعال للمظاهرة الشعبية الكبرى بقيادة عبد الحميد بن باديس وبن جلول والتي كانت ضد القرارات الفرنسية التعسفية القاضية بإغلاق المساجد في وجه العلماء والمدرسين، كما كان شاهدا على حوادث أوت1934 الدامية بقسنطينة والتي أذلت اليهود، كل ذلك ترك أثره الواضح في تكوين شخصية أحمد حماني علميا وسياسيا حيث يقول في هذا الصدد:"كل هذا ترك أثره الواضح في تكويننا.."[9].وفي هذه السنة حضر الإجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالعاصمة بدعوة ممضاة من الشيخ عبد الحميد بن باديس ،ولأول مرة يحضر مثل هذه الإجتماعات ويستمع لعلماء القطر ،أدبائه ،كتابه وشعرائه منهم البشير الإبراهيمي،السعيد الزاهري، محمد العيد آل خليفة، وشارك في هذا الإجتماع بأول عمل له إذ عين في لجنة الانتخابات كأصغر الأعضاء العاملين بجانب المهدي البوعبدلي وقدور ابن هونة.[10]

بعد إنهاء تعليمه بمدينة قسنطينة ،قرر محمد حماني أن يرسل ابنه أحمد وابن أخيه الصادق(*) لمواصلة الدراسة بتونس، بالرغم من الإمكانات البسيطة التي يمتلكها ، قضى أحمد حماني السنة الدراسية الأولى بجامع الزيتونة(1934–1935) كطالب حر، إذ وجد أن دراسته بقسنطينة كانت ناقصة من بعض المعارف الخاصة بالجامع الأعظم، فاستدركها خلال هذه السنة وكان يحضر دروس مشائخ الزيتونة بإلاضافة إلى إنتسابه للمدرسة الخلدونية التي كانت قريبة من الزيتونة وفيها درس الرياضيات على يد صالح رضا الأحمر، وبلحسن بن شعبان مدرس الإنشاء كما درس فيها الفرنسية، وبعد أيام إلتقى الشيخ أحمد بالشيخ، محمد بن الصادق جلولي الملياني(**) الذي جاء لتونس للتحصيل العلمي وهو من الطلبة الذين كانوا يحرسون ويرافقون الشيخ عبد الحميد ابن باديس بعد محاولة إغتياله من طرف العليويين في ديسمبر 1926 وأنتقل الثلاثة أحمد والصادق والملياني للإقامة بنهج الطعمة رقم8 ،مقابل30فرنكا للشهر.وكان أحمد يدرس من الثامنة صباحا إلى منتصف النهار ثم يعود إلى البيت لإعداد الطعام والأكل ليرجع إلى الدراسة بالزيتونة على الساعة

---

[8] – شهادة محمد الهادي الحسني (رفيق الشيخ) في الملتقى الوطني الأول الذي حمل إسم أحمد حماني وخصص للخطاب المسجدي في الجزائر، نظمته مديرية الشؤون الدينية والأوقاف بجيجل يومي08–09–جويلية2007.

[9] – أحمد حماني :الصراع بين السنة والبدعة، ج2، المصدر السابق،ص289.

[10] – أحمد حماني: شهداء علماء معهد بن باديس،المصدر السابق،ص23.

(*)– يعتبر الصادق حماني ابن عمه ورفيق مشواره التعلمي والتعليمي من أعز أصدقائه، لذلك كتب عنه كتابا نشر بعد وفاته بعنوان شهداء علماء معهد ابن باديس والشيخ الصادق حماني.

(**)– ولد في 12افريل1901 ببلدية جندل ولاية عين الدفلى وهو أحد تلامذة بن باديس توفي في 30اكتوبر 1984.

الثالثة مساء حتى الخامسة، وبعد استراحة ينتقل طوعا للإستزادة في العلم في مدرسة الخلدونية أو غيرها . وهكذا قضى العام الأول في الجد والإجتهاد حتى شارك في إمتحان السنة الرابعة ليدخل كطالب نظامي وكان موضوع الإمتحان المفعول معه وأحكامه والإظهار وأحكامه[11].

أما في السنة الدراسية الثانية(1935–1936) فأصبح الشيخ أحمد حماني طالبا نظاميا، درس خلالها الجزء الثاني من كتاب ابن عقيل على العلامة الشاذلي النيفر، كما درس أقرب المسالك للعلامة الدردير وكتبا أخرى تحضيرا للشهادة الأهلية ،لكن إضرابا مفاجئا عطل الدراسة لشهرين ، بعدها دخل الطالب إمتحان الشهادة الأهلية وكان عدد الطلبة خمسمائة طالب ونجح حماني بترتيب ثالث بعد الأستاذين الشاذلي المكي وأحمد دويرة[12].

وفي السنة الدراسية الثالثة(1936–1937): درس الشيخ أحمد حماني الأشموني على الألفية وهو كتاب في آداب اللغة وقواعدها، العاصمية في فقه القضاء ،اقرب المسالك الجزء الثاني، التلخيص بشرح سعد الدين التفتزاني ، وفي هذه السنة تخلى عن دروس الخلدونية لأن الدروس بالزيتونة أصبحت كثيرة وممتعة، لكن هذه المتعة ما لبثت أن قطعت بإضراب أتى على كل مجهودات هذه السنة الدراسية.

وعاد حماني إلى الجزائر أين عمل لفائدة مجلة الشهاب كمتجول وكناشط شاب يحث الشباب على طلب العلم ودراسة تاريخهم الإسلامي، وأول محاضرة ألقاها في أوت1937 في موضوع الشباب المسلم ،في ناد مليء بالشباب بسكيكدة وقد نشرت هذه المحاضرة في الشهاب تحت عنوان"واجب شبابنا" ومما جاء فيها:"إن الشباب هو الروح المتحركة الناشطة الفعالة في الأمة فإن أنت–أيها الشباب– أخلدت إلى التكاسل والبطالة واستعذبت النوم والجهالة، فاعرف أي ذنب بل أي جرم جنيته على أمتك وبلادك.لقد كان الشباب المسلم في أول حياة الإسلام أنشط الشباب وأقدره على تسيير دفة السياسة ،وإحراز الفوز والنصر ونشر المدنية والعلم، ورفع راية الدين فكان له الفضل في نشر الإسلام والتبشير به حتى فتح نصف الكرة الأرضية في نصف قرن،فهل سمعتم بشباب يفعل مثل هذا ؟ إقرؤوا تاريخكم–أيها الشباب– لتعلموا أعمال الشباب مثلكم في تاريخ الإسلام فلعلكم تجعلونها نبراسا لكم...فلقد عقد النبي صلى الله عليه وسلم الراية لأسامة بن زيد على جيش فيه أفاضل الصحابة وعمره لم يبلغ العشرين سنة فغزا وانتصر ورجع ظافرا"[13].تمكن أثناء تجوله لصالح مجلة الشهاب من جمع بعض المال يدخره للدراسة في العام الموالي وبذلك خفف من الأعباء المالية التي أرهقت والده.

---

[11] – أحمد حماني :الصراع بين السنة والبدعة،ج2،المصدر السابق،ص ص289،287.

[12] – أحمد حماني: شهداء علماء معهد بن باديس،المصر السابق،ص32.

[13] –أحمد حماني:واجب شبابنا، مجلة الشهاب، المجلد الرابع عشر، السنة الرابعة عشر(1936–1937)،ط1، دار الغرب الإسلامي ، 2001 ،ص82.

في السنة الدراسية الرابعة(1937-1938) استأنف الطالب أحمد دروس السنة السابقة لأنه لم يسمح له كبقية الطلبة بإمتحان آخر السنة ،وفي مارس 1938 وصلته رسالة من أحمد بوشمال يخبره بأن جريدة البصائر تعاني من ضائقة مالية وأن "علي مرحوم" المسؤول عن جمع اشتراكاتها قد دخل المستشفي ، فهل بإمكانه تعويضه لبعض الوقت، فاستجاب أحمد حماني لنداء الوطن ونداء الحاجة ،فهو كذلك يجد صعوبة في تمويل دراسته بتونس. إنقطع أحمد حماني عن الدروس عائدا إلى قسنطينة وما إن انتهت مهمته حتى عاد إلى الزيتونة ، وقد أعانه ابن عمه الصادق على استدراك مافاته، وجاءت امتحانات آخر السنة،التي أربكت حماني وفي هذا الصدد يقول:" ماشككت مرة في نتيجة الإمتحان كيومي ذاك إذ سألني الممتحن في فن المنطق القديم وكان كتابه (التهذيب) أبغض الكتب إلى نفسي، فأجبت وارتقى معي الأستاذ في السؤال،فأجبت وزاد في التدقيق فهجت لمعلوماتي الهشة وأسأت الأدب، ولكنه كان واسع الصدر، فاكتفى بالإنكار علي ،وتابع أسئلته حتى نهاية الإمتحان.وكان أستاذي إنسانا عدلا معتدلا فلم يؤاخذني وظهرت النتيجة وطلع إسمي في قائمة الناجحين"[14]. وبعد هذا النجاح قفل عائدا إلى قسنطينة وهذه المرة كانت عطلته الصيفية أكثر تكثيفا من سابقاتها إذ قام بجولة صحفية أخرى لفائدة جريدة البصائر ،شملت غرب العاصمة وشرقها، بلاد القبائل الكبرى ثم عمالة وهران، وفي مقالاته المنشورة بذات الجريدة كان يكتب لمحة وجيزة عن القرية او المدينة التي يحل بها ،يصف حالتها الإجتماعية، الدينية والثقافية، كما يبين الخلافات والمشاكل التي تعاني منها الحركة الإصلاحية ، ويقترح حلولا لوحدة وتماسك المجتمع ،فمثلا أثناء وجوده بقرية سيدي عيسى لاحظ حماني وجود مسجدين بها، بالرغم من صغر مساحتها ،فنبه إلى الخلاف الذي حدث بسبب ذلك بقولهّ"كان ينبغي أن يتعاون القائمون على المسجدين ويتحدوا في بناء واحد فقط، ولكن لم يقدر لهما هذا الإتحاد، وراح كل منهم يقوم بمسجده مستقلا ، ونشأ من ذلك بينهم خلاف نرجو أن يزول سريعا.ونتمنى أن يسود بينهم الوداد والتفاهم وأن يتعاونوا في كل مشاريعهم إذ بالتعاون تدوم المشاريع وبالتخاذل تضمحل"[15]. وهكذا نلمس من هذا النموذج أن الشيخ أحمد حماني كان يؤدي عملا صحفيا لكن بشعور بالانتماء الى هذا الوطن المقيد،ومن واجبه تنبيه قرائه وإرشادهم إلى كل ما يضر ببلادهم المحتلة،وخاصة الإختلاف الممقوت الذي يراهن عليه الإستعمار.ولما وصل في جولته الصحفية إلى سيدي بلعباس حان وقت عقد الإجتماع العام لجمعية العلماء،فسافر إليه وفد كبير من وهران ومن ضمنهم الشيخ أحمد حماني .ويعتبر هذا الاجتماع الثاني الذي حضره، وعين فيه كاتبا لوقائعه ومن الأحداث التي عاشها في هذا إلاجتماع وقوف الشيخ الطيب العقبي في الحاضرين الذين غصت بهم القاعة، معلنا استقالته من الجمعية التي كان مكونا لها لا لأنها هي التي كونته(كما قال)، فقال له ابن باديس بين سبب استقالتك، لكن الطيب قال لا أستطيع و أعلن تأجيله إلى يوم الأحد،ولما انتهى من كلامه وقف ابن باديس وقال أما

---

[14] – أحمد حماني: شهداء علماء معهد بن باديس،المصدر السابق،ص40.

[15] – البصائر :حديث المتجول، السنة الثالثة،العدد126، ليوم 12-8-1938.

أنا فاستطيع، ثم بين رحمه الله برقية قدمت إليهم ،ليقدموا فيها شواهد الإخلاص لفرنسا كما قدمها غيرهم، وأكد أنه رفض أن يمضي هذه البرقية وأن اليد التي تمضيها تستحق القطع.وكان الذي جاء بالبرقية الشيخ الطيب العقبي، وصرح إما أن تمضى هذه البرقية وإما أن ينسحب من الجمعية ويستقيل.وقد وافق الحضور على كلام ابن باديس،ورفضت البرقية بالإجماع.وبصفته مراسلا للبصائر كتب الشيخ حماني مقالا عن تلك الوقائع بين فيه أسباب إستقالة العقبي من الجمعية، فخفف بذلك من أثر الإنشقاق في مجلس العلماء ،على أنصار الجمعية[16]. ثم عاد أحمد حماني إلى جولاته الصحفية وهذه المرة كلف بجنوب عمالة قسنطينة:الوادي وبسكرة، ولما اقترب الموعد الدراسي بالزيتونة شد الرحال إلى تونس.

وكانت السنة الدراسية الخامسة(1938–1939) : سنة دراسية عادية بالرغم من تعرضها لبعض العواصف التي سرعان ما تسكن، وأمكن السير بها حتى شهر جويلية إذ تمت دورات الإختبارات الفصلية والإمتحانات السنوية في مواعيدها وتمكن الشيخ أحمد من النجاح فيها بسهولة لينتقل إلى السنة السابعة وهي سنة الترشح لنيل شهادة التحصيل. وخلال سنة1939 نالت ثلة من الجزائريين(*) تلك الشهادة،ولما رجعوا اجتمع بهم الإمام عبد الحميد بن باديس في إحتفال رسمي، خطب فيهم خطبة مؤثرة ، كانت آخر خطبة له وآخر لقاء له بالجمهور، ثم قدم الشيخ عبد الحميد للخطابة، "علي مرحوم" معتزا به قائلا عنه"..كالصخرة الصماء يثير الغبار حوله حيثما نزل" وبعد انتهاء علي من خطبته، قدم بن باديس مترجمنا النحيف الجسم أحمد حماني بهذه الكلمات:"..هذا إلابن الذي لا يكاد يزن أربع أواق من اللحم ومع ذلك وقف في بعض الحلاقيم الكبيرة كالشجى ولم تستطع ابتلاعه"[17] ويشير الشيخ إلى رجال المخابرات الفرنسية(إدارة الشؤون الأهلية بالجزائر) الذين تتبعوه بسبب نشاطه الصحفي في جرائد تونس،لكن لم يتمكنوا من معرفته،لأنه كان يكتب بلقب مستعار لقبه به بن باديس وهوالعيشاوي(*).أثناء تواجده بقسنطينة –سبتمبر 1939– أخبر حماني بأن أباه طريح الفراش يستدعيه ليكون بجانبه، ففعل ،ومكث معه حتى قبضت روحه في 2 نوفمبر 1939 ،بعد دفنه وجمع غلة الزيتون، رجع إلى قسنطينة، متأثرا بوفاة والده فراح يدبر أمره بفتور ، وقد كان لإبن خاله محمد بن عبد الله الزاهي دورا في تعبئة الشيخ حماني والرفع من معنوياته،من اجل إكمال دراسته بتونس ،يذكر حماني أنه في نوفمبر 1939 قضى الليل كله مع الزاهي بدكانه بقسنطينة والذي مافتئ يعظه ويرشده، وكان حديثه الهادئ والرزين، العذب المسلي يواسي جراحاته،حتى استطاع أن يبعث في نفسه الأمل ويحبب له المغامرة ثانية، فاندفع حماني نحوها ، وتهيأ بقليل من الزاد وانطلق إلى تونس من جديد، ترن في آذانه كلمات أبيه

---

16 – أحمد حماني:شهداء علماء معهد بن باديس،المصدرالسابق،ص42.

(*)– منهم مولود النجار من القرارم، الاعور يوسف القلي، عمار بوصبيعة القلي، عمار سنقوقة السلطاني، الخير حرشي.

17 – عبد اللطيف بن العربي: المقال البرهاني في ثناء أهل العلم والفكر على العلامة أحمد حماني،البصائر ،السلسلة الرابعة،السنةالسابعة،العدد347 ،من9 إلى16 جويلية2007،ص9 .

(*)– هذا الإسم نسبة إلى جبل مسيد عيشة القريب من مسقط رأس الشيخ أحمد حماني.

رحمه الله التي تعتبر آخر ما سمعه منه"يا أحمد تابع دراستك وأكملها"[18] . وهذه المرة سيمكث في تونس 5 سنوات تقريبا حتى أفريل1944، تحصل خلالها على شهادة التحصيل1940 وشهادة العالمية1943.

1-ج- وظائفه ومسؤولياته: يعتبر الشيخ أحمد حماني ثمرة من ثمار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،وعضوا فيها منذ نشأتها[19] ومن الوظائف التي تقلدها قبل الإستقلال (وإستمرت معه بعد الإستقلال) وظيفة التدريس، فقد عين في المجلس الاداري لمدرسة التربية والتعليم وأستاذا بها،عضو لجنة التعليم العليا التابعة للجمعية ورئيسا لها من 1955إلى1957 وهوتاريخ إعتقاله، عين كاتبا عاما لشؤون جمعية العلماء المسلمين على مستوى عمالة قسنطينة[20].أستاذا بمعهد عبد الحميد بن باديس وخلال آدائه لوظيفته بالمعهد كاد الشيخ حماني أن يقتل، إذ أصبح المعهد بعد إنلاع الثورة مشبوها وحياة من له صلة به مهددة، ففي سنة1956 نفذ الإعدام في حق ثلاثة عشر مسلما من بينهم أحمد رضا حوحو، محمد الطاهر العجابي،الحاج رابح بوشريط، الحاج اسماعيل بوعلاق، بسبب إغتيال جبهة التحرير الوطني لمدير شرطة قسنطينة سان مارسييي الكورسيكي الذي عامل الأهالي المشبوهين بوحشية، فانتقاما له قام الفرنسيون الكورس باعدام ثلاثة عشر جزائريا،وعزمهم على إعدام خمسين آخرين من بينهم العربي التبسي ،أحمد حماني،أحمد بوشمال، ابراهيم مزهودي ،لكن الوالي الفرنسي الذي كان إشتراكيا ناقش الكورسكيين في القائمة وأقنعهم بالاكتفاء بمن ألقوا عليهم القبض[21] .

لكن السلطات الإستعمارية ستلقي عليه القبض سنة1957 وسلطت عليه أنواعا شتى من العذاب من ذلك ما أصابه في سجن الكدية حينما حاولوا نزع المصحف الشريف منه وحرمانه من تلاوته، فتمسك به فأشبعوه ضربا وركلا إلى أن تدخل ضابط من الحراس،أشفق عليه ورد إليه المصحف. ولم يطلق صراحه إلا بعد وقف إطلاق النار، في 4 افريل 1962،بعد ذلك عين في ماي من نفس السنة تحت إشراف الولاية الثانية وقيادتها،عضوا في اللجنة المسؤولة عن التعليم في مدينة قسنطينة، ومديرا لمعهد ابن باديس،فأعاد الشيخ أحمد حماني تنظيم التعليم بالمعهد،الذي استقبل في تلك السنة ألفي طالب ،من صغار التلاميذ وكبارهم وحتى الكهول إناثا وذكورا،والحماس يحذوهم في طلب العلم ورفع حجاب الجهل في البلد الحر،الذي طالما أنتظروا فك قيوده ،وقد نجح عدد كبير من الفتيان والفتيات في الإمتحان الإستعجالي الذي نظم لهم،وتأهلوا للتعليم فورا في الأقسام إلابتدائية بعد دورة تكوينية سريعة أشرف عليها أحد اساتذة المعهد هو عمرجعفري، بتكليف من الشيخ أحمد حماني ، الذي استدعي بعد تأسيس الحكومة الجزائرية الأولى إلى الجزائر العاصمة

---

[18] – المرجع نفسه ،شهداء علماء معهد بن باديس،ص84.

[19] – عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى،منشورات المتحف الوطني للمجاهد،1996،ص15.

[20] – المصدر نفسه، ص209.

[21] – أحمد حماني: الصراع بين السنة والبدعة،ج2،المصدر السابق،ص300.

لوظيفة المفتش العام للتعليم العربي(*)، وفي مطلع سنة 1963، لما أسس معهد الدراسات العربية بجامعة الجزائر سمي حماني أستاذا به،ولما باشر عمله وجد أن تأسيس المعهد مازال كفكرة في الأذهان،فسعى مع مجموعة من زملائه للمشاركة في وضع أسسه المتينة، وتغير فيما بعد اسمه إلى كلية الآداب . قضى في الجامعة10 سنوات كاملة من 1963 إلى1973. وفي 1972 استدعي ليكون رئيسا للمجلس الإسلامي الأعلى(**) وأثناء وجوده على رأس هذه المؤسسة ،مثل الشيخ أحمد حماني الجزائر في ملتقيات عالمية بتونس، ليبيا ،مصر، السعودية، الهند ،أفغانستان، بلجيكا، موسكو، .... عين الشيخ في اللجنة المركزية لجبهة التحرير الوطني سنوات 1983،1984،1985.كان أحمد حماني منذ الاستقلال على إتصال بوزارة الشؤون الدينية يبذل في خدمتها النصيحة والمشورة والفتوى( مثل ترأسه للجنة تصحيح المصاحف بذات الوزارة) حتى أن آخر ما تولى بها بعد تقاعده سنة1989 رئاسة لجنة إلافتاء[22].كما أنتخب عضوا في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، التي يتواجد مقرها بمكة المكرمة وهو ثاني جزائري يتحصل على العضوية في هذه الهيئة ،بعد محمد البشير الإبراهيمي[23] وعضوا مؤسسا للمجلس الاعلى العالمي للمساجد ورئيسا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تم بعثها في26 مارس1991 ومديرا للسان حالها جريدة البصائر في سلسلتها الثالثة[24] .

---

(*)– عينه وزير التربية آنذاك محمدي السعيد.

(**)– أنشأ هذا المجلس سنة 1966 بأمر من الرئيس هواري بومدين الذي رأى تنظيم هيئة من العلماء لاستشارتها والإستعانة بها في بعض الأمور التي تخص الدين الإسلامي وأن لايترك هذه الشؤون الخطيرة تسير حسب آراء من عملهم سياسي محض،كان المجلس تابعا لوزارة الشؤون الدينية وبعد دستور 1989 الذي إنتقل بالنظام السياسي من الأحادية إلى التعددية أصبح المجلس مؤسسة دستورية تابعة لرئاسة الجمهورية، من مهامه– قبل التعددية الحزبية– تنظيم إحتفالات المواسم والأعياد، الوعظ والإرشاد،إصدار الفتاوى للشعب والإدارة، وبعد التعددية يحدد الدستور مهام المجلس الإسلامي الأعلى في الإستشارة القانونية، و هو عمل إداري و تقني، و في إلاجتهاد الذي يقتضيه الإسلام المعاصر فيما يواجهه من مشاكل راجعة إلى التحولات الإجتماعية و الثقافية الكبرى.و ينصب هذا الإجتهاد في موضوعات متعددة يقع ضبطها حسب الأسبقيات و التعرض لها بالبحث و النقاش و التشاور. لكن عثرت مؤخرا على أن فكرة المجلس كان ورائها المرحوم ابن القاضي أحد علماء جامع الزيتونة الذي أقام بمناسبة تشكيل الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائريةسنة1958 احتفالا ببيته بتونس حضرها مسئولون عن الثورة وعدد من العلماء على رأسهم الإبراهيمي والطاهر بن عاشور وبعد أن أكد ابن القاضي للحاضرين أن انتصار الجزائر محقق بإذن الله أوصى الجزائريين بإقامة مجلس اسلامي أعلى للجزائر لما تستقل وقدم لهم قانونا أساسيا لهذا المجلس، آملا أن لا تقع الجزائر فيما وقع فيه غيرها من البلاد الإسلامية المستقلة حديثا من تبعية واستيلاب.المصدر عبد الرحمان شيبان:في الذكرى 40 لوفاة ابن القاضي،مجلة الأصالة، ،العدد57،ماي ،دار البعث، 1978،ص90.

[22] – أحمد حماني: فتاوى الشيخ أحمد حماني،ج2، منشورات وزارة الشؤون الدينية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر،1993،ص604.

[23] – احمد حماني:محمد بن القاضي:العالم المصلح،مجلة الأصالة،عدد57،ماي1978ندار البعث،1978،ص99.

[24] – بشير كاشة الفرحي: الشيخ أحمد حماني، دار الآفاق،الأبيار،الجزائر،2004،ص12.

**1-ج- وفاته ،خصاله و آثاره:**

توفي الشيخ أحمد حماني يوم الإثنين 05 ربيع الأول سنة1419هـ الموافق لـ29 جوان 1998م على الساعة الثانية بعد الزوال، وأذيع خبر وفاته في وسائل الإعلام المكتوبة المسموعة والمرئية، ووري التراب بحضور جمع غفير مثل الجهات الشعبية والجهات الرسمية.

كان الشيخ أحمد حماني يتميز بما يلي:

-التواضع والوفاء، يقول الدكتور محمد الهادي الحسني في مقال نشر بجريدة البصائر بعنوان الشيخ أحمد حماني العالم المجاهد والفقيه المجتهد:"...أما أخلاق الشيخ أحمد حماني فيتصدرها خلقان كريمان هما التواضع الكبير حيث لم يكن يستنكف أن يصغي إلى كل ذي حاجة من ذكر أو أنثى ،كبيرا أو صغيرا،ويبدو تواضعه في ملبسه ومسكنه، ولوشاء للبس الغالي وسكن العالي ولكنه فضل الآجلة وترك العاجلة ولسوف يعطيه ربه فيرضى، وأما الخلق الثاني فهو الوفاء غير المحدود..."[25] وبالرغم من تبحره في علوم الشريعة الإسلامية خاصة الفقه المالكي ويشهد على ذلك الشيخ محمد الغزالي[*] إلا أنه تواضعا يقول في كتابه الشهير الفتاوى:" أما بعد فهذه جملة من الإستشارات الواردة علينا وإنما سميناها استشارات لأنها في رأينا لا تعدو هذا الاسم ولا تبلغ أن تكون استفتاءات لأن الفتوى أنما يحق لها أن تسمى هكذا إذا صدرت ممن هو أهل للإفتاء وهو من بلغ درجة من الاجتهاد ولا يستحقها إلا من توفرت فيه الإحاطة بعلوم الكتاب والسنة وكان متبحرا في فنون العربية"[26] ،كما أن الشيخ حماني لم يكن يخبر أولاده بما يقوم به من أعمال، ولا يسمعون عنها إلاّ من خلال أصدقائه أو من وسائل الإعلام[27]. إضافة الى أن الشيخ حماني ليس من الذين ينسون الفضل عليهم، فيذكر في الإهداء الذي ورد في كتابه الفتاوى:"أهدي هذا الكتاب إلى أرواح أمي وأبي ومشائخي.... أما مشائخي فقد وجدت فيهم النصيحة، وأنا مدين لكل منهم، سواء من تلقيت منه مباشرة أو أفادني بما أخذت من كتابه"[28].ولتواضعه الشديد كان يسكن في حي شعبي بالعاصمة وباب بيته مفتوح لكل من يريد مقابلته لاستفتائه[29].

---

[25] – محمد الهادي الحسني: الشيخ أحمد حماني العالم المجاهد والفقيه المجتهد،جريدة البصائر ، السلسلة الرابعة، العدد 56 من 25 جوان إلى 2 جويلية2001.

[*]– ذكر هذه الشهادة الذين كانوا يحضرون محاضرات الشيخ محمد الغزالي في جامعة الأمير عبد القادرللعلوم الإسلامية بقسنطينة ومنهم عبد الحميد قليل (صحفي بجريدة النصر) الذي قال في الملتقى المذكور آنفا أن الطلبة كثيرا ما يستفسرونه في فقه الإمام مالك فيوجههم إلى الشيخ أحمد حماني الضليع في الفقه المالكي.

[26] – أحمد حماني :فتاوى الشيخ أحمد حماني،ج1،المصدر السابق،ص7.

[27] – مقابلة شخصية مع إبنه عمر،بمنزله بحي 5جويلية،الجزائر العاصمة،يوم 2006/9/4.

[28] – أحمد حماني: فتاوى الشيخ أحمد حماني،المصدر السابق،ص5.

[29] – مقابلة شخصية مع ابنه عمر ،نفس المكان والتاريخ.

–زهده وورعه: تجلّى ذلك من خلال ما أخبرني به أحد تلامذته وهو عبد الحميد ونيسي الذي استمرت علاقته بالشيخ حماني، وقد نقل عنه أنه بعد وصول الرئيس هواري بومدين إلى السلطة بعث إليه السيد عبد المجيد علاهم ليعرض عليه منصب وزير الشؤون الدينية والتعليم الأصلي، فشكره الشيخ حماني على الثقة التي وضعها فيه الرئيس لكن لا يستطيع الإجابة لا بالقبول ولا بالرفض حتى اليوم الموالي ،لأنه تعود صلاة الاستخارة في كل أمر .لكن الرئيس لم ينتظر وعين مولود قاسم نايت بلقاسم[30]. فلم يكن الشيخ يطلب المناصب بل كان يعين فيها من دون علمه ،مثل تعيينه عضوا في المجلس الإسلامي الأعلى ، يقول: وما رأيت إسمي إلا في جريدة الشعب بعد تأسيس المجلس والإعلان عن أعضائه"[31]. إضافة إلى ذلك فأحمد حماني لا يحب أن يشكر على شيئ لم ينجزه مصداقا لقوله تعالى"ويحبّون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب"[(*)]ونستدل على ذلك عندما نشر أحد الصحفيين بأن الشيخ أسس جيشا على الحدود الجزائرية التونسية متعاونا مع الألمان أثناء الحرب العالمية وخاض به انتصارات على الحدود، رد عليه بأنه خاطئ فيما يقول ونشر حقيقة ما وقع ولم يكن لينشره لولا تلك الكتابات التي تظن بأن الشيخ سيزهو بنفسه ويحب أن يحمد بما لم يفعل، والتباهي والزهو الحقيقي هو ما فعله الشهداء الذين دبروا الأمر حتى بلغوا بالجزائر شاطئ السلامة والحرية فهم الذين يستحقون المدح والثناء[32]. ومن المميزات الأخرى التي تميز بها الشيخ أحمد حماني ، من دون أن أفصل فيها حسب شهادات مقربيه، والذين عرفوه: –الجد والإجتهاد وغزارة العلم،–الإستقامة وحسن السلوك،–صبره على الأسقام والإبتلاءات،ومن خصاله التي عرف بها التمسك برأيه عندما يقتنع به ولم يعرف عنه أنه تراجع عن موقفه في مجال الفتوى كما عرف عنه أنه لا يجامل ولا يداهن[33].

آثاره:إن نشاطه الدؤوب وانشغاله بتكوين الرجال ضيق عليه الوقت لتأليف الكتب: له مقالات منشورة في الصحف والمجلات قبل استرجاع الإستقلال الوطني وبعده:

فأول ما نشر له مقالات تحت عنوان "حديث المتجول " في جريدة البصائر ، السلسلة الأولى ومقال حول الشباب المسلم في الشهاب [34]،كما كتب في جريدة الشعلة التي كان يديرها إبن عمه الصادق، ونشر مقالات

---

[30] – مقابلة شخصية مع ونيسي عبد الحميد في مقر مؤسسة ابن باديس، قسنطينة،يوم2006/8/26.وهو تلميذ للشيخ أحمد حماني بمعهد بن باديس من 1954 إلى1957 وهو تاريخ إعتقال حماني وغلق المعهد.

[31] – أحمد حماني: المصدر السابق،ص8.

[(*)]– سورة آل عمران ،الآية188.

[32] – أحمد حماني :لم أكن نازيا ولا عميلا للنازية،من كتاب أحمد حماني حياته وآثاره شهادات ومواقف،دار الأمة،2001، ص29.

[33] – محمد الأكحل شرفاء: الشيخ أحمد حماني بعد الرحيل،البصائر، العدد295،السلسلة 4،السنة6،الأسبوع من03 إلى10جويلية2006،ص10.

[34] – أحمد حماني: الصراع بين السنة والبدعة،ج2،المصدر السابق،ص291.

في الصحافة التونسية منها جريدة الإراد ة(*) باسم مستعار هو العيشاوي وهو الإسم الذي اقترحه عليه الإمام عبد الحميد بن باديس،كما كتب في نشرية الثمرة الأولى التي أصدرتها جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين بتونس والتي تضمنت مواضيع إصلاحية ووطنية،الدافع إلى كتابتها الظلم الإستعماري وحماسة الشباب.

وبعد الإستقلال كتب في جرائد وطنية يومية وأسبوعية كجريدتي الشعب والعصر ، وكتبت مداخلاته في الملتقيات التي شارك فيها، إذ عادة ما تجمع وتنشر محاضرات الملتقى على شكل كتاب ومنها الملتقى الذي عقد بالقيروان بتونس أيام25 و28 فيفري 1978 وشارك الشيخ حماني بمحاضرة بعنوان "العدل والإحسان أسس المجتمع الإسلامي "[35] إلى جانب المداخلات التي شارك بها في ملتقيات الفكر الإسلامي ونشرت في كتب الملتقى كما نشرت في مجلة الأصالة التي كانت تصدرها وزارة الشؤون الدينية مواضيع عدة منها "محمد الشاذلي بن القاضي العالم المصلح،–الإمامة وأهميتها وشروط من ينتخب لها،–عباقرة من رجالنا تزهى بهم عواصمنا الصنهاجية–إرادة الشعب من إرادة الله– إضافة إلى نشره لمقالات في مجلة الثقافة الصادرة عن وزارة الثقافة من بينها "دور الأفغاني في يقظة الشرق ونهضة العالم الإسلامي".

أما الكتب التي ألفها ونشر بعضها وهو على قيد الحياة والبعض الآخر بعد التحاقه إلى جوار ربه فهي:

–1– كتاب الصراع بين السنة والبدعة أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس: طبع سنة 1984 .

2– رسالة الدلائل البادية على ضلال البابية وكفر البهائية: طبع سنة 1984 .

3– الإحرام لقاصدي بيت الله الحرام وقضية إمام يجتهد في إبطال مذهب إمام.

4–فتاوى الشيخ أحمد حماني"إستشارات شرعية ومباحث فقهية" : في ثلاثة أجزاء ،طبع إثنان منها سنة 1991 ضمن منشورات وزارة الشؤون الدينية أما الجزء الثالث فنشرته دار قصر الكتاب سنة 2001 بعد وفاته بثلاث .

5– كتاب: شهداء علماء معهد بن باديس :صدر بعد رحيل أحمد حماني.

وكان للشيخ أحمد حماني حضور في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، لأنه أدرك مدى أهمية هذه الوسائل في التبليغ والدعوة إلى الفضيلة وافتاء الناس وتوجيههم وارشادهم إلى الخير، ومالها من دور في تعميم الفائدة للمستمعين

---

(*)– جريدة الإرادة لصاحبهامحمد المنصف المنستيري الذي يقول عنه حماني:هومن أقدر الكتاب وأمهر الصحفيين في العالم العربي، له أفكار صائبة وعبارات عربية سليمة وقلم سيال ووطنية ملتهبة، ومن المقالات التي نشرتها الإرادة لمترجمنا مقال بمناسبة محاكمة الشيخ القبي بعنوان"صراع ثلاث سنوات" ومقال آخر يقارن فيه بين شخصية م.ميو مدير الشؤون الأهلية وشخصية بن باديس. المصدر ،أحمد حماني:شهداء علماء معهد بن باديس،ص48.

[35] –الدين والمجتمع(دراسات ومحاضرات قدمت في ملتقى الندوة الإسلامية بالقيروان من 25 إلى27 فيفري1977)،منشورات وزارة الشؤون الثقافية،الدار التونسية للنشر،1978،ص181.

أو المشاهدين فقد كانت خطب الجمعة التي ألقاها في السبعينيات تذاع عبر الأثير[36] كما كان يُحدّث الناس في التلفزة من خلال حديث الإثنين، وفي التسعينيات سجل سبعين حصة بالتلفزة الوطنية خاصة بإلافتاء، بثت من خلال ندوة الجمعة في حصة "أنت تسأل والمفتي يجيب".[37]

## 2-أعماله الإصلاحية والوطنية قبل إسترجاع الإستقلال الوطني:

### 2-أ-مواقفه الوطنية خلال الحرب العالمية الثانية:لما اندلعت الحرب العالمية الثانية (1939-1945)

كان الشيخ أحمد حماني يواصل دراسته بتونس، وكان يستمع .لنشرات إذاعة برلين(*) التي جاء في إحدى نشراتهاليوم2فيفري1940مايلي:أيها المغاربة لا تدافعوا عن طغاتكم..ارفضوا الخدمة العسكرية...فرنسا تريد استعمالكم طعمة للمدافع...فهي تضع جنودها في الخلف بينما تحتلون أنتم الخطوط الأمامية، ويرمى بكم في مقدمة ميدان القتال.وفي نشرة 23أفريل1940:تتجه الآمال نحو إنتصار ألمانيا الذي هو نصر للعدل على الظلم وتحرر للعرب، لقد بعث الله الألمان لينتقموا لكم من الفرنسيين الملطخة أيديهم بالدماء.وفي نشرة14 ماي1940قال المذيع:اليوم تتوغل القوات الألمانية في فرنسا وتدمر خط ماجينو،...أيها المغاربة لقد إقترب خلاصكم، ولابد أن تزول فرنسا". وكانت الشعوب المستعمرة التي تصلها هذه الدعاية وحتى التي لم تصلها ساخطة على الإستعمار الفرنسي،وعلى جرائمه وسياسته الظالمة، وتعجب بهزائمه أمام ألمانيا بل والبعض منها يعمل مستغلا هذه الفرصة للنيل من فرنسا والتخلص من استعمارها، ومنهم أحمد حماني. فمن باب عدو العدو صديق، وصديق العدو عدو، كانت محاولات لبعض الوطنيين الجزائريين لربط اتصالات مع الألمان داخل الجزائر وخارجها ومن هؤلاء الشيخ أحمد حماني الذي بالرغم من علمه بأن الألمان يحتقرون العرب، والأمة العربية في فلسفتهم تأتي في الدرجة الرابعة عشر ، يقر بحبه لهم لا لإحسانهم ولا لصدقهم ولا لإنسانيتهم ،ولكن لمجرد أنهم الحقوا الأذى بالعدو المشترك واحتلوا بلاده،واستعبدوه،وأذلوا قادته

---

[36] – أحمد حماني: إن خير الحديث كتاب الله ،مجلة الأصالة،العدد56،السنة7،أفريل 1978،دار البعث، قسنطينة، 1978،ص79.

[37] – محفوظ بن الصغير،المرجع السابق،ص68، نقلا عن مسؤول قسم الأرشيف بالتلفزة الوطنية.

(*)– كان الطالب أحمد حماني وابن عمه الصادق يذهبان لبيت أحد الرفاق التونسيين لمراجعة الدروس والإستماع إلى اخبار برلين يذيعها بحري يونس من الإذاعة الالمانية.المصدر: شهداء علماء معهد بن باديس،ص54.

ورجاله[38] وعن هذه الاتصالات يقول:"أثناء وجود ألمانيا بتونس عام1942-1943 جاءنا أحد نشطاء حزب الشعب وهو محمد خليفاتي(**)،الذي سيكون فيما بعد من أكبر رجال الثورة، واتصلنا به وعملنا معه، ولكنه بصرنا بفساد نية الأمان،ونهانا عن الاندفاع معهم"[39]، ونفس النصيحة أسداها لهم ممدوح الميداني، زعيم فرع الجيش العربي بتونس.(** *)

في هذه الظروف،ومستغلا فرصة الحرب العالمية الثانية، وضع الشيخ أحمد حماني قانونا أساسيا لحزب جزائري جديد هو الحزب القومي الجزائري،الذي كان من بين مؤسسيه الشيخ بورنان الدريدي،بولخراص سلطاني،الحاج ناصر، الداودي صفصاف، الزين قليش ،مسعود بن بيده ، هذا الأخير عين على رأس الحزب، وكان الغرض الأسمى من هذا التنظيم ما ذكر في قانونه الأساسي وهو العمل على تحرير الجزائر واستقلالها، والتعاون مع كل من يكون عونا لهم في بلوغ هذه الغاية. ويبدو أن الألمان لم يعجبهم هذا الأمر وأخذوا يعرقلون نشاط الجزائريين ومن الأمثلة على ذلك ،عندما طلب "حماني" ورفاقه من القوات الألمانية في تونس،أن يخصصوا لهم حصة في الإذاعة، رفضوا قائلين:"أتريدون القيام بعمل ضد دولة فرنسا، نحن لا نسمح بذلك" . أدرك حينها الشيخ أحمد حماني ورفاقه بأنه لا فرق بين فرنسا وألمانيا الأوربيتين وهذا ما أكدته رسالة هتلر إلى الماريشال بيثان يوم نزول قواته في تونس:"أننا نزلنا بتونس لنحافظ على إفريقيا لأوربا"[40].

كما كانت للشيخ أحمد حماني اتصالات بالألمان ضمن مجموعة من أساتذة الزيتونة: الشيخ العلامة محمد الشاذلي النيفر ،الشيخ محمد الصالح النيفر والشيخ الهادي مجدوب، واتصل معهم بالقيادة الألمانية لتخفيف بعض ما كان يلقاه الشعب،و القيام بمساع لإطلاق سراح المعتقلين ومنهم الحبيب بورقيبة ورفاقه الذين اعتقلتهم فرنسا،ونقلتهم إلى سجونها منذ1939، فقد تدخل الوفد الزيتوني لدى قيادة الألمان في تونس وقال

---

38 – أحمد حماني: لم أكن نازيا ولا عميلا للنازية،المصدر السابق،ص29.

(**)– كان محمد خليفاتي مندوب حزب الشعب بمدينة تونس، يقيم بالقرب من رحبة الغنم، في نهج الجبح.

39 – أحمد حماني: ابن باديس والثورة،مجلة الرسالة، تصدر عن وزارة الشؤون الدينية، العدد الرابع،جانفي 1981،ص30

(***)– الجيش العربي أسسه مفتي القدس أمين الحسيني، ومن فروعه جيش تونس الذي كان من بين جنوده جزائريون منهم علاوة فنور ابن البلدة التي ولد بها حماني.لما تمت استعدادات الجيش العربي حاول الألمان أخذه إلى روسيا فأبى الزعيم الحسيني وقال لهم لاعداوة بيننا وبين روسيا، ولم يحتلوا بلادنا، وعند نزول الحلفاء بالمغرب العربي وتقدموا إلى تونس ضرب هذا الجيش أروع التضحيات في سبيل رد العدو عن البلاد العربية ومنها تونس. المصدر: أحمد حماني:لم أكن نازيا ولا عميلا للنازية،مصدر سابق،ص ص31،30.

40 – عبد الكريم بوصفصاف وآخرون،معجم أعلام الجزائرفي القرنين التاسع عشر والعشرين، ج2، منشورات مخبر الدراسات،التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري،قسنطينة،2004،ص69.

لها:لا يمكن أن يعطف عليكم العرب وزعماؤهم في سجون فرنسا،أو تحت الإقامة الجبرية تحت حكمكم " فكان لهذا الكلام وقع على الألمان،وفي نحو 24 ساعة أفرج عن بورقيبة ورفاقه[41].

ومن الاجتماعات التي حضرها حماني،ضمن وفد أساتذته بجامع الزيتونة، تلك التي استدعي اليها ضباط ألمان عند بعض المشائخ ومنهم " بيزينير" و"فوستر"، ومما قاله الشيخ أحمد:"نحن الجزائريين ليس لنا دولة معترف بها، بخلاف المغرب وتونس، فلهما كيان دولي، ولهذا فإننا نخشى أن تعاملونا كمجرد تراث فرنسي، لذلك نريد منكم أن تصرحوا بوعد تعترفون فيه، بتأسيس دولة لنا معترف بها" فرد أحد الضباط الألمان:"أنت شاب صغير السن ولكنك بعيد التفكير،وما قلته هو من عمل السياسة العليا وليس لنا أمر فيه" فقال حماني:"أن هذا في فائدتكم وباستطاعتكم استجلاب رضاء الشعب الجزائري كله وأنا ضامن لكم تسعين بالمائة من الرأي العام، فلو وافقتم فإنكم تحررون زعماء تونس المسجونين، بحيث يكون الحبيب بورقيبة زعيم حزب الدستور رئيسا لحكومة تجمع الجزائر وتونس، تعلنون الاعتراف بها، فلا يخالف أحد، لأنه سينظم إلى هذه الحكومة رجال الجزائر"[42]. وتجدر الإشارة الى أن إطلاق سراح بورقيبة ورفاقه كان بعد هزيمة الألمان في ستالين غراد، ثم استعدوا لمغادرة تونس ،واستمالوا بعض العرب للذهاب معهم ومنهم الهادي مجدوب الذي توفي في فرنسا.

إذن هذه هي حقيقة اتصال الشيخ أحمد حماني بالألمان في تونس أثناء الحرب العالمية الثانية، وألاحظ أنه كان ذكيا في تصرفاته الحذرة ولم ينساق وراء كل ما طلبته ألمانيا،التي مع الأسف استطاعت خداع رفيقين لحماني في تونس وغررت بهما باتخاذهما عملاء لها،وهما حسين مقراني وابراهيم بن سليمان.

بعد نزول الحلفاء ومعهم فرنسا بتونس أخذوا في البحث عن كل متعاون ومتصل بأعدائهم الألمان،حينها اختفي حماني في مدينة تونس، بعد تمكّن فرنسا من اعتقال رفاقه في المنظمة الجزائرية، واختبأ في بنزرت عند السيد السعيد قاسمي وساعده على ذلك دركي جزائري يدعى العمري، حيث أخفاه برغبة من المرحوم صفصاف الدوادي[43] ،وبقي مختفيا من ماي1943 إلى مارس1945 وبالرغم من عودته إلى الجزائر في30أفريل1944 إلا أنه بقي يتجنب الأنظار حتى سعى رجال جمعية العلماء المسلمين لتخليصه من هذا الحرج،بربطهم اتصالات بتونس ،فإذا ما استدعي للمحكمة، برّأته، وكل شيئ سار وفق ما خططت له الجمعية ، فاستدعي المتهمون في قضية التعاون مع الألمان إلى محاكمة في المحكمة العسكرية الفرنسية بتونس في 20مارس1945 ومنهم حماني،الذي خرج منها بالبراءة[44].

---

[41] – أحمد حماني:محمد الشاذلي بن القاضي العالم المصلح،مجلة الأصالة،السنة السابعة،العدد57،ماي1978،دار البعث،1978ص ص98،97.

[42] – أحمد حماني:لست نازيا ولا عميلا للنازية،المصدر السابق،ص33.

[43] – عبد الكريم بوصفصاف وآخرون،المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[44] – أحمد حماني: لست نازيا ولا عميلا للنازية،المصدر السابق،ص30.

ووضّح أحمد حماني قضية تعاونه مع الألمان بنفسه بعد استرجاع الاستقلال،على إثر نشر صحافي في جريدة السلام لمقال قال فيه بأن الشيخ تعاون مع النازيين وأسس جيشا يمتد على طول الحدود الجزائرية التونسية وخاض به معارك، انتصر فيها بشهادة الجيش الفرنسي نفسه.و زعم الصحافي أنه سمع ذلك من محمد الطيب العلوي، فردّ الشيخ أحمد حماني :"بأن هذا لم يكن أبدا وأنه لا يحب أن يحمد بما لم يفعل مستندا إلى قوله عز وجل:"لاتحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم"[(*)]. ولم يكن حماني لينشر ذلك الرد، لولا تلك الكتابات التي تظن بأن الشيخ سيزهو بنفسه ويحب أن يحمد بما لم يفعل، فرد عليها لإزالة الشبهات والتحريف الذي قد يلحق بالتاريخ ، وقال :"التباهي والزهو الحقيقي هو ما فعله الشهداء الذين دبروا الأمر حتى بلغوا بالجزائر شاطئ السلامة والحرية فهم الذين يستحقون المدح والثناء"[45].

**2-ب- <u>جهوده في التربية والتعليم بعد تأسيس معهد بن باديس.</u>**

وقد كان الشيخ أحمد حماني من الأوائل الذين ضحوا في سبيل إقامة معهد بن باديس، ووضع قوانينه، والتدريس فيه، حتى إغلاقه سنة1957. فبعد عودته من تونس سنة1944، وكشأن العائدين من الجامع الأعظم ، باشر رسالته في محاربة الأمية والسعي لنشر الوعي الديني ،الأخلاقي ،الإجتماعي،الثقافي والسياسي في سبيل النهوض بأمته الرازحة تحت نير الإستعمار، وإخراجها من ظلمات الجهل إلى نور العلم،الذي يراه حافزا مهما في بث روح اليقظة في الأمة، لتتخطى وطأة الخرافات والبدع التي سخرها المستعمر لفائدته، فكان الميدان الخصب لأداء هذه الرسالة هو التعليم ، فعين مدرسا في مدرسة التربية والتعليم[(*)] سنوات1944-1945-1946 في عهد مديرها عبد الحفيظ الجنان[46]. وفي السنة الأولى تطوع لتقديم دروس لطلبة المدارس الرسمية الذين كانوا يأتونه في تكتم،خشية المستعمر من التنكيل بهم[47]. وقد ساهم حماني مساهمة فعالة في تأسيس معهد بن باديس الذي يعتبر أول ثانوية للتعليم العربي الحر، وسمي نسبة إلى باعث النهضة الجزائرية الحديثة الشيخ عبد الحميد بن باديس، لمواصلة ما كان قد شرع في بنائه

---

[(*)]- سورة آل عمران ،الآية188.

[45] - أحمد حماني :<u>لم أكن نازيا ولا عميلا للنازية</u>،من كتاب أحمد حماني حياته وآثاره شهادات ومواقف،دار الأمة،2001، ص29.

[(*)]- مدرسة التربية والتعليم :هي أم المدارس الحرة في الوطن ،كانت لها جمعية تعرف بنفس الإسم ،رئيسها الشيخ عبد الحميد ابن باديس، تحصلت على الإعتماد سنة1932.مقرها كائن في نهج الأربعين شريفا . افتتحت المدرسة في هذا المقرالجديد في26 شوال1355هـ الموافق ل9 جانفي1937 المصدر :محمد الحسن فضلاء ،<u>المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر في الجزائر</u>،ط1،دار الأمة،1999،ص60.

[46] - عائشة بوتريد: التعليم العربي الحر في الجزائر ومؤسساته من1947إلى1962، قسنطينة نموذجا ، ،رسالة ماجستير غير منشورة نوقشت سنة2004 بجامعة قسنطينة.،ص77.

[47] - أحمد حماني:<u>الصراع بين السنة والبدعة،ج2</u>،المصدر السابق،ص298.

وترسيخه من أفكار ومنها على سبيل المثال،ما صرّح به سنة1936رافضا سياسة الإدماج:"أن الجزائر ليست فرنسا ولا يمكن أن تكون فرنسا ولا تريد أن تكون فرنسا ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت، ولكنها أمة بعيدة كل البعد عن فرنسا،في لغتها وفي دينها وفي تاريخها" وللمعهد عمل ايجابي فعال لاثبات هذه الحقيقة وابرازها إلى حيز الوجود.[48] في سنة1947 كان أحمد حماني يشغل منصب كاتب عمالة قسنطينة التابع لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين،وبحكم هذه الصفة وضعت على كاهله مسؤوليات التحضير لإفتتاح المعهد،وكان نشاطه مكثف من إستقبال الطلبات،إلى إعداد برنامج الدراسة بالتنسيق مع الأساتذة، توزيع حصص الدراسة وتفويج الطلبة. افتتحت الدراسة في شهر ديسمبر ،وحينها تسلم كتابة المعهد الأديب أحمد رضا حوحو[*] لإجادته الفرنسية والحاجة إلى ذلك ضرورية، وتفرغ أحمد حماني للتدريس وشؤون الجمعية [49] .فعمل به أستاذا من 1947 إلى1957 وكان يدرّس شتّى العلوم الإنسانية يضفي عليها صبغة خاصة تميزت بغرس الروح الوطنية والثورية،والتركيز على الدور الفعال الذي يلعبه الشباب في النهوض بالأمة خاصة وأنه أيامها كان شابا مفعما بالحماس،ونستشف هذه المميزات ممن درسوا على يديه أو زملائه بالمعهد .ومن التلاميذ الذين تتلمذوا على يديه ابو عبد الله غلام الله الذي يقول عن مترجمنا:"دخلت المعهد في اكتوبر1954 وكانت دروس أحمد حماني في التاريخ والجغرافيا كلها في الوطنية، لا يقول كلمة في التاريخ،سواء في تاريخ الجزائر أو تاريخ الإسلام أو التاريخ الأوربي أو في التاريخ الأمريكي إلا من حيث الصراع القائم بين الشعوب والاستعمار ، وكان يذكرنا ما هي الجهود وما هي التضحيات التي بذلتها الشعوب سواء في أمريكا أوفي كندا أوفي الشرق، وفي ذلك الوقت كان الحديث كثيرا عن باكستان وانفصاله عن الهند وما هي الأعمال والتضحيات وأن الإستقلال ليس شيئا يعطى وليس شيئا يتحصل عليه،وإنما هو نتيجة التضحيات والدماء والإخلاص والتضامن[50] . كان يحيى ما كان يدرسه بجميع حواسه ويدفع تلامذته لتذوق الأدب العربي، وفي هذا المجال يواصل غلام الله شهادته قائلا " كان يدفعنا لتذوق الأدب ،خاصة القومي وأدب الملاحم، أدب المتنبي، وكان يتناوله من حيث الفحولة والبطولة،ومن الناحية الفنية،واشهد أنني أخذت منه فيما يخص التذوق الفني ما لم أخذه من بقية الأساتذة الذين تعلمت عليهم فيما بعد"[51].كما

---

[48] – أحمد حماني،شهداء علماء معهد بن باديس،مصدر سابق،ص37

[*]–أحمد رضا حوحو(1911–1956):ولد بسيدي عقبة قرب مدينة بسكرة، تلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه ثم بقسنطينة.غادر الجزائر إلى الحجاز سنة1934،ولم يعد إليها إلا بعد سنة1945، تولى الكتابة العامة بمعهد ابن باديس،كان أول من ألقي عليه القبض من رجال جمعية العلماء ،استشهد بعد سنتين من إندلاع الثورة التحريرية.للمزيد أنظر معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين،ج2،لعبد الكريم بوصفصاف وآخرون ،ص82.

[49] – أحمد حماني،الصراع بين السنة والبدعة،ج2،مصدر سابق،ص298.

[50] – شهادة وزير الشؤون الدينية أبو عبد الله غلام الله:الشيخ أحمد حماني شهادات ومواقف،مرجع سابق،ص ص200–201.

[51] – المصدر نفسه،ص201.

كان محبا لعمله بالرغم من أن المعهد من حين لآخر يتعثر ماديا،فلا يدفع أجور الأساتذة، لذلك كان رئيس الجمعية دائم الإلحاح على الأمة في التمويل، ويشهد عبد الحميد ونيسي أحد تلامذته بأن استاذه الشيخ حماني،كان متفانيا في عمله على غرار بقية الأساتذة ،لكن حماني بالذات كان يتميز عليهم في احتكاكه بالطلبة وبنكته أحيانا فيحس التلاميذ بذوبان ذلك الحاجز بينهم وبين أستاذهم ولكن في إطار من الهيبة والإحترام [52].

وخلال تواجده بالمعهد لم يدخر جهدا في تعليم الطلبة موظفا كفاءاته العلمية، وشهد عليه الشيخ البشير الإبراهيمي إذ قال، بأن إدارة الجمعية اختارت للتدريس بالمعهد أكفأ الأساتذة المتخرجين من الزيتونة.[53] كان الشيخ أحمد حماني يحمل هم التعليم بالمعهد والوصول به إلى أرفع المستويات، وفي هذا المجال كان له إقتراح على الإبراهيمي أتى بثماره وهو إلحاق المعهد بجامع الزيتونة بتونس، ليكون فرعا له، فوافق الإبراهيمي الذي أرسل رسالة الى جمعية الطلبة الزيتونيين الجزائريين سنة1947 ،يخبرهم فيها بأن جميع التحضيرات قد تمت ليفتح المعهد أبوابه في شهر أكتوبر من السنة نفسها،وطلب من رئيس جمعية الطلبة عبد الرحمان شيبان أن يتقدم من مدير جامع الزيتونة فضيلة العلامة محمد الطاهر بن عاشور، ويطلب منه الاعتراف بالمعهد كفرع من فروع الزيتونة[54]، ولتنفيذ هذه المهمة الدقيقة والعظيمة، أقامت الجمعية بناديها الكائن بنهج عبد الوهاب بتونس،حفلة تكريم الإمام محمد الطاهر بن عاشور،وأثناء الحفلة عرضت عليه رغبة جمعية العلماء، فأكبر هذه المبادرة العلمية، وأعرب عن اغتباطه الشديد ،بأن يعترف بمعهد يحمل اسم أحد تلامذته الأصفياء–عبد الحميد بن باديس– كفرع لجامع الزيتونة[55] ، وقد كان في برنامج الجمعية كخطوة أولى ربط الصلة بالزيتونة ثم توثيق صلاته بجامعات القاهرة والإسكندرية ودار العلوم والأزهر وعين شمس بمصر، وجامعة دمشق بسوريا،وبغداد بالعراق، والسعودية،الكويت الأردن والمغرب وليبيا[56].

كما كان حماني دائم النشاط خلال تواجده بالمعهد كمدرس به، ونائب ثان لمديره العربي التبسي ،بعد الشيخ محمد خير الدين، وكعضو مجلس إدارة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين،وكاتب عام لمكتب الجمعية لعمالة قسنطينة، وكمثال لهذا النشاط تكرار إسمه في ثلاث مواضيع مختلفة، في عدد واحد لجريدة البصائر[57] هي على التوالي:

---

[52] – مقابلة شخصية مع عبد الحميد ونيسي،بمقر مؤسسة عبد الحميد بن باديس بقسنطينة يوم:2006/8/26

[53] – محمد البشير الإبراهيمي:معهد عبد الحميد بن باديس:ماله وماعليه، البصائر ،العدد44، السلسلة2. يوم السنة1 يوم 21 جوان1948.

[54] - إبن عتيق محمد الصالح:أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية بالجزائر، منشورات دحلب، الجزائر، 1990. ص71.

[55] – عبد الرحمان شيبان:الذكرى الأربعينية لوفاة الشيخ محمد الشاذلي بن القاضي،مجلة الأصالة،العدد57،ماي 1978،دار البعث،1978،ص88.

[56] – المصدر نفسه،ص89.

[57] – البصائر : العدد23، السنة الثانية ،السلسلة الثانية ، ليوم 15 فيفري1948.

-"...كانت إقامة الاحتفال بالمولد من مديره الحازم الشيخ العربي التبسي ...إذ عهد إلى إثنين من مدرسيه النجباء هما العباس بن الشيخ الحسين وزميله أحمد حماني...بإقامة احتفال ليلة المولد... وتقدم أحمد حماني فألقى كلمات ارتجالية موضوعهاّ الإسلام دين الحرية والتحرير" فأحسن وأفاد."

-"...الميلية تحتفل بمدرستها الجديدة...ثم جاء دور أحد شيوخ المعهد الباديسي أحمد حماني فمتع السامعين بدرس قيم موضوعه " آيات بينات من كتاب الله عز وجل،وكان له الأثر البالغ..."

- والموضوع الآخر بقلم الشيخ أحمد حماني كاتب مكتب الجمعية لعمالة قسنطينة ،هاجم فيه هجوما حادا القائد ورجل من الأمن(الشنبيط) اللذان أهانوا المسلمين في يوم إحتفالهم،بالمولد النبوي بمنطقة الجناح ، وفي الأخير يقول حماني:" يجب أن يقف أمثال هذا القائد عند حدودهم ،أو يوقفوا كما يقتضيه الحق والعدل والسياسة الرشيدة، عن أعمالهم وإلا فإن يوم الحساب آت لا ريب فيه"[58].

مؤديا تلك الوظائف التي يصعب جمعها ،واصل الشيخ نشاطاته بالمعهد حتى1957وهي السنة التي أختطف فيها مديره العربي التبسي، فخلفه حماني لبضعة أشهر،ليتم القبض عليه هو الآخر في نفس السنة.وخلال تواجده على رأس المعهد حول حماني دار الطلبة(*) إلى مقر للاجتماعات السرية للثورة ولما اكتشف أمرها حولها الإستعمار إلى مركز للاستنطاق والتعذيب.

ولما أسست لجنة التعليم العليا(**) التابعة لجمعية العلماء المسلمين،لم يكن مقرها ثابتا،فتارة العاصمة وتارة أخرى قسنطينة وترأسها حماني في1955،1956،1957 إذ كان يسافر أسبوعيا،بين قسنطينة والعاصمة للقيام بأعمالها إضافة إلى الإتصالات التي كان يكلفه بها العربي التبسي الذي كان على علاقة بالعقيد عميروش فكان حماني همزة وصل بين الولاية الثانية والولاية الرابعة[59].

**3- أعماله ومواقفه بعد استرجاع الإستقلال الوطني:** سأركز في هذا العنصر الاخير على بعض التضحيات التي قام بها الشيخ أحمد حماني في سبيل الحفاظ على عروبة وإسلام الجزائر ومنها: قانون

---

[58] – المصدر نفسه،ص7.

(*)- منذ تأسيس المعهد ومشكلته الرئيسية الإمداد المادي وعدم توفر سكن للطلبة، مما دفع إدارة المعهد على العمل الدؤوب من أجل حل هذه المعضلة فشرعت في بناء دار الطلبة تشتمل على 4طوابق ومطعم وحمام ، أنجزت في سنوات وفتحت في عيد وطني سنة1953 .جاء لحضوره وفود من سائر أنحاء الوطن ووفد من جامع الزيتونة ،على رأسه نائب شيخ الجامع الأستاذ علي النيفر.المصدر:أحمد حماني،شهداء علماء معهد بن باديس،مصدر سابق،ص50.

(**)- لجنة التعليم العليا:تشكلت سنة1946 وكان باكورة أعمالها توحيد التعليم. رئيسها إسماعيل العربي تخرج من معاهد القاهرة ،ومن أعضائها:الصادق حماني، محمد الغسيري، عبد القادر الياجوري، احمد حماني ببوكر الحاج عيسى الاغواطي،احمد قصيبة، بن ذياب احمد ،محمد الشبوكي،باعزيز بن عمر،العباس بن الشيخ الحسين، علي المغربي ثم لحق بهم إبراهيم مزهودي وعبد الرحمن شيبان بابا احمد محمد...أوكل لهذه اللجنة وضع برنامج موحد لجميع المدارس، والعمل على توحيد الجمعيات وانتخاب المعلمين وشروطهم،وإنشاء تفتيش للتعليم، والتفكير في توحيد المرتبات على حسب مكانة المعلم وشهادته وصون كرامته واستقلاله وحمايته.المصدر:شهداء علماء معهد بن باديس،ص64.

[59] – أحمد حماني: الصراع بين السنة والبدعة، ج2،مصدر سابق،ص299.

الأسرة الذي لم يصادق عليه إلاّ سنة1984، وذلك لمعارضة أقلية نافذة في دوائر الحكم له،ووقوف مترجمنا مع القضايا التي تعزّز مقومات الشخصية الوطنية في إطار الإنتماء الواسع للأمة الإسلامية.

فقد إحتدم الصراع حول قانون الاسرة ، وعُطِّل لسنوات كثيرة، فقد كانت للشيخ حماني جهود جبارة في تعديله أولا،لأنه كان نسخة طبق الأصل للقانون الفرنسي، وكان ذلك في الملتقى الذي نظمته وزارة العدل حول إثراء قانون الأسرة المنعقد بقصر زيغود يوسف يومي27 و28 مارس1973، حيث انتقد بشدة النصوص المعروضة في الملتقى،والتي في،غالبيتها كانت منقولة عن القانون المدني الفرنسي أو من قانون11جويلية1957 الخاص بالولاية أو الوصاية،أو من قانون الآنسة سيد قارة الصادر في4أفريل1959 ومرسوم التطبيق الصادر في17سبتمبر1959 الخاص بالزواج والطلاق أو ما سمي بانحلال الزواج وحتى بعض ما في مواد هذا القانون من حسن قد مسخ واستبدل مثل اشتراط القانون الفرنسي في عمل الزوجة أن لزوجها حق الإعتراض وأن رضاه مشروع بينما يقول مشروع اللجنة المكلفة بإعداد القانون عكس ذلك ويعطيها حق العمل دون رضا زوجها فمثل هذا نشوز وخروج عن الطاعة، [60] ويستدل حماني ،بعدما فصل في القوانين التي تركها الإستعمار، بأقوال رئيس مجلس الثورة هواري بومدين حيث قال يوم13مارس1971:"إن التشريعات التي فرضها النظام الإستعماري على بلادنا مدة قرن وربع والتي سلبنا بها مكتسباتنا، قد بقي معظمها جاريا به العمل بمقتضى قانون31ديسمبر1962 وهي الغريبة عن ديارنا، والآن وقد انفكت الأغلال وملكنا زمام أمرنا فعلينا أن نتخلص نهائيا من القوانين الدخيلة علينا"[61] وبناء على ما سبق اقترح حمّاني ما يلي:

1- إعادة النظر جذريا في المشروع المعروض على الملتقى.
2- أن يوضع الأصل باللغة العربية ليعبر تعبيرا جيدا عن نصوص الشريعة الإسلامية ومصطلحات الفقه، دون تحريف يقع من الترجمة.
3- تُشكل لذلك لجنة من المختصين المتضلعين في الفقه الإسلامي والقانون من وزارتي العدل والتعليم الأصلي والشؤون الدينية،مهمتها تحقيق ما سبق ووضع القانون في صيغته النهائية.

وفعلا أخذت تلك الاقتراحات بجدية وبعد اليومين الدراسيين،جمعت الملاحظات والاقتراحات التي ساهم بها المشاركون في الملتقى المذكور، وأعيد صياغة القانون على ضوئها وأصبح جاهزا لمصادقة الحكومة عليه سنة1975،وهي السنة التي تمّ خلالها المصادقة على العديد من القوانين ما عدا قانون الأسرة الذي أُجل بسبب معارضين له في دوائر الحكم، الذين أزعجتهم أحكامه المستمدة من الشريعة الإسلامية[62] والنقاط

---

[60] – بشيركاشة الفرحي،المرجع السابق، ص59

[61] – المرجع نفسه، ص60.

[62] – المرجع نفسه،ص51.

التي لم تهضمها الأقلية هي: تعدد الزوجات المنصوص عليه شرعا،حضور الولي الذي يعد ركنا من أركان الزواج الإسلامي،الشريعة تمنع التبني، وتمنح الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين، وشهادة الرجل تقابلها شهادة امرأتين، ولا تسافر المرأة إلا بمحرم وهذا ما جعل تلك الفئة ترفض الأحكام الإلهية وتعطل قانون الأسرة الذي لم يصدر كقانون واجب التطبيق إلا في 9 رمضان1404هـ الموافق لـ9جوان1984 ،ولم يكن ليمر دون ضجة،مما أجبر الرئيس "الشاذلي بن جديد" إعادته إلى البرلمان لقراءة ثانية، ثم التوقيع النهائي عليه[63]،وخلال سنوات تعطيل القانون كان الشيخ أحمد حماني يقوم بجهود مضنية، رفقة الأوفياء للجزائر العربية المسلمة لشرح أهمية الشريعة الإسلامية الصالحة لكل زمان ومكان ولكل القوانين ومنها قانون الأسرة، كما رأى أنه من واجبه التصدي لمن يحاول تغيير مسار الدولة الجزائرية أو تغييب الإسلام عن القضايا الهامة مثل قضايا الأسرة ،فقدم ملاحظته في الموضوع بصفته رئيسا للمجلس الإسلامي الأعلى، أنتقد فيها بعض القوانين التي تتصادم مع نصوص الشريعة الإسلامية واقترح حلولا وبدائل لتلك القوانين ، ووجه ملاحظاته الكتابية واقتراحاته في مراسلتين إلى السيد محمد الشريف مساعدية،عضو اللجنة المركزية وأمين اللجنة الدائمة لحزب جبهة التحرير الوطني: الأولى بتاريخ 27 افريل1983 والثانية في2 جوان من نفس السنة[64].

وتصب الملاحظات والاقتراحات التي قدمها الشيخ حماني على مسودة مشروع قانون الاسرة قبل المصادقة عليه،في ضرورة الرجوع إلى الفقه الإسلامي، وعدم إستنساخ قوانين غريبة عن مجتمعنا وفي هذا الصدد يقول:"–أولا في آخر الصفحة الأولى وأول الثانية جاء ما نصه:إن القوانين التي تتجاهل الواقع في كل جزئياته تصبح قوانين نظرية في انعزال عن الحياة ولا يختلف الفقه الإسلامي في هذه القاعدة عن المنظومة القانونية الأخرى.

الإقتراح:حذف هذه الفقرة تماما واستبدالها بما نصه:وليس كذلك الفقه الإسلامي،لمرونته ويسره وصلاحه لكل زمان ومكان.لماذا؟ –لأنه من غير اللائق أن يوضع الفقه الإسلامي–كما في الفقرة– مثل هذا الوضع المهين مساويا للقوانين الوضعية،متهما معها بمناقضة الواقع المعاش وبالانعزالية، والصواب أن الفقه الإسلامي،مصدره نصوص قرآنية أو سنة نبوية، أو هو مستخرج من قواعد صحيحة سليمة مستمد منها مسند عليها"[65].

ومعارضو قانون الأسرة يركزون دائما على ثلاث عناصر ، يريدون من خلالها إثارة ضجة،ومن ثمة التراجع عن فقه الشريعة الإسلامية، هذه القضايا الثلاثة هي:التبني، الطلاق، تعدد الزوجات وهذه القضايا الخطيرة،إذا ما خرجت عن فقه الشريعة الإسلامية، فمعناه تكسير روابط الأسرة الجزائرية، لذلك تصدى أحمد

---

[63] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[64] – أحمد حماني، الفتاوى،ج2، ص.ص559–560.

[65] – المصدر نفسه ،ص563.

حماني بكل عنف وفعل ثوري لكل محاولات تغييريه من اجل الحفاظ على سلامة النص الذي صيغ كنص سياسي أولا، ثم رافقه مع أبنائه إلى المجلس الشعبي الوطني من أجل الحفاظ على قانون الأسرة، المبني على أساس الشريعة الإسلامية[66].

وحتى بعد إقرار قانون الأسرة سنة1984 ،بقيت الفئة المعارضة تعمل في الخفاء محاولة إلغاءه،وأصبحت تجاهر بعدائها لكل ما هو مستمد من الشريعة الإسلامية بعد أحداث أكتوبر1988 وانتظمت في حزب جهوي يدعي انه قبائلي، ما انفك يطالب بإلغاء قانون الأسرة ،بكل الوسائل وأوجد لهذا الغرض أكثر من عشر جمعيات نسوية وهمية، للمطالبة بتحقيق المساواة بين الرجل والمرأة، كما صرّح رئيس ذلك الحزب للصحافة[67] بأنه ضد القوانين المجحفة في حق المرأة والتي تجسدت في قانون الأسرة ،وهذا ما أدّى بالشعب الجزائري إلى تنظيم مسيرة احتجاج في العاصمة، ضمت أكثر من مليون شخص حسب تقدير وكالة الأنباء الألمانية، أما الصحافة الفرنسية فقلصت العدد إذ قدرته جريدة لوموند الفرنسية الصادرة يوم1989/12/13 بنصف مليون فقط.[68] والذي قاد تلك المسيرة الشيخ "أحمد سحنون" رفيق حماني في جمعية العلماء المسلمين الذي قال :"قانون الأسرة لا ينسخه إلاّ كفر بالله".

ومما قام به الشيخ أحمد حماني بعد الإستقلال –إلى جانب رفاقه– تفعيل دور وزارة الشؤون الدينية ، التي تعد قلعة أخرى من القلاع التي ساهمت بشكل كبير وفعال، في تعزيز مقومات المجتمع الجزائري العربي المسلم ،فهذه الوزارة ما لبثت أن أصبحت محل انتقاد وكان الشيخ احمد حماني من اشد المدافعين عن ما كانت تقوم به، وقد تعرض برنامج الحديث الديني المقدم يوميا خلال شهر رمضان،والذي تشرف عليه الوزارة المذكورة إلى انتقاد حاد، نشر في صحيفتين وطنيتين،أسبوعية ويومية،الأول تحت عنوان"الكلام لفظ مفيد" والثاني بعنوان" التوجيه الديني والتفتح على الواقع" ومضمون المقالين متشابه مفاده أن الأحاديث الدينية أو بعضها كلام لا معنى له ،غثة المعاني و الألفاظ مكررة، معادة مجترة قيلت آلاف المرات،ورد الشيخ حماني عليهما بقوله:" نحن لا نتهرب من النقد النزيه البناء المبني على قواعد علمية،وأن النقد الذاتي–حيث يعترف المخطئ بخطئه على رؤوس الملأ– عنوان قوة الأمة ومناعة الأخلاق فيها،...ونحن في الوزارة لا ننكر أن ينتقد أعمالنا أحد ويبين لنا نقصنا في أداء وظيفتنا لنتجنب ذلك ونصححه، ....ولكن إذا أراد شخص أن يحطم ويهدم ويسد بابا من أبواب الخير في وجوه عباد الله فإننا من حقنا أن لا نقبل الهدم وواجب علينا أن نبين له(أن بني عمك فيهم رماح)"[69].

---

[66] – شهادة بشير خلدون حول الشيخ حماني ،في كتاب دار الأمة حول الشيخ حماني، مصدر سابق،.ص205.

[67] – أجرت جريدة الشعب حوارا معه صدر في عدد يوم 19مارس1989.

[68] – أحمد بن نعمان :فرنسا والأطروحة البربرية ،دار الأمة ،ط2، ،ص98.

[69] – احمد حماني:كلامنا لفظ مفيد كاستقم،مجلة الأصالة،السنة7،العدد53 ،جانفي1978،ص66.

ثم يشرع الشيخ حماني في الرد على الاتهامات الموجهة للحصص الدينية فعن تكرار المواضيع بتكرار المناسبات، يرى الشيخ بأن ذلك ليس عيبا، وان المناسبة نفسها هي موضوع الحديث، ولكل مقام مقال، فأي موضوع أولى باهتمام الحديث الديني في رمضان من الحديث عن القرآن وهدايته لأنه أنزل في رمضان، وعن التهجد والقيام وحث المسلمين على التوبة والتسابق إلى الخيرات[70]، كما رد الشيخ حماني بالدليل والحجة على من زعم أن الأحاديث الدينية لا معنى ولا جدوى منها لعدم الاهتداء بها وتطبيق ما جاء فيها،متسائلا:"متى كانت الدعوة–وحتى على ألسنة الأنبياء والمرسلين–عاصمة للناس أجمعين، رادعة لكل المفسدين؟ فعلى الدعاة أن يقوموا بواجبهم الديني، وليس عليهم حمل الناس على اتِّباع أقوالهم فالهداية من الله "قل إن الهدى هدى الله"[71]وعن إتهام ما جاء في تلك الأحاديث بالمبالغات والخرافات يتأسف حماني لانزلاق المتهِمين عن الجوهر والأخلاقيات الحقيقية في التربية الدينية، ولئن قصدوا ما فعله الرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر عندما رمى المشركين بقبضة من التراب أصابت أعينهم،فالقرآن نص على ذلك بقوله تعالى:"فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى" فإذا كان في القرآن مبالغات وخرافات في رأي المنتقدين فإننا نقول فيهم:"آمنا به كل من عند ربنا"، كما أن ما كانت تقوم به وزارة الشؤون الدينية من برمجة الأحاديث الدينية نالت رضا الجماهير التي طالبت بأن تذاع في التلفزة يوميا في غير رمضان ، ولكن الوزارة لا ذنب لها في حرمان عموم الشعب من ذلك ولو أفسح لها المجال لاستجابت بسرعة وكفاءة [72]

ومن خلال هذا الرد الأخير نتبين أن صراعا كان قائما بين المدافعين عن مقومات الأمة ومكتسبات الثورة ،وعلى رأسها الإسلام الذي يبلغ عن طريق وسائل الإعلام ومعارضين لذلك التبليغ ووصل هذا الصراع إلى حد المقايضة أحيانا ونلمس ذلك من خلال ما بينه مولود قاسم نايت بلقاسم بقوله:" لقد أوقفنا سنة 1390هـ 1970م استعمال مكبر الصوت في آذان الفجر، وقلنا إننا نود مقابل ذلك أن يوقف بقاء الحانات مفتوحة طوال الليل، وأن توقف مزامير الأعراس، مع أنه لا مجال هناك لأية مقارنة، ولكن لما لم يستجب أحد لذلك، رغم طلبنا المتكرر، وعلى جميع المستويات، أرجعنا استعمال مكبر الصوت في آذان الفجر، وأعلنا ذلك في الصحف، وذكرنا حتى المقارنة العرجاء العوجاء التي لا محل لها من الإعراب والإعجام"[73].

إضافة إلى ذلك فوسائل الإعلام والتلفزة خصوصا كانت هي الأخرى تجرح مشاعر عموم الجزائريين ،فمثلا خلال شهر رمضان كانت تعرض بين القرآن وأذان المغرب وقبل الحديث الديني أغاني فيها من

---

[70] – المصدر نفسه ص68.

[71] – المصدر نفسه، ص70.

[72] – المصدر نفسه،ص ص 71، 72.

[73] – مولود قاسم نايت بلقاسم:أصالة أم انفصالية ،ج2،مصدر سابق،ص16.

الكلام ما هو كاف لتفريق الأسرة الجزائرية المحافظة[74] وكم من مرة نبهت وزارة الشؤون الدينية وعلى جميع المستويات والمسؤوليات، وعلنا وفي الجرائد المجلات،المحاضرات والملتقيات من أجل الحفاظ على مقومات الأمة وعدم استفزاز مشاعر المسلمين كإلصاق الإعلانات الإشهارية وعليها الصور الخليعة أمام مرأى الجميع[75] وقد أدرك حماني ورفاقه مقاصد تلك المؤامرات الداعية لإلغاء الدين ونشر الإباحية بحجة التفتح والثقافة ،ووقفوا في وجهها بالبرهان والحجة.

**الخاتمة:** في ختام هذه المداخلة التي كان محورها شخصية مجاهدة وثورية شاركت في التمهيد لإستقلال الجزائر،وانخرطت في ثورتها ، كما لم تدخر جهدا في إزالة مخلفات الإستعمار بعد إسترجاع السيادة الوطنية، للحفظ على مكتسبات الثورة،إذ أدرك الشيخ أحمد حماني ورفاقه، أنه بالرغم من أننا انتزعنا استقلالنا انتزاعا ،فإن الإستعمار القديم الجديد يسهر على بقائه إستقلالا ناقصا ،لذلك كان حرصهم على إستقلال الشخصية الجزائرية الممتدة في التاريخ، والتي غيبها الإحتلال الفرنسي منذ 1830، الذي أعد جيلا لمرحلة ما بعد الإستقلال لتأدية نفس الأدوار والمهمات ولكن بوسائل أخرى، في المقابل واصل الجيل الجزائري الذي تربى وفق التراكمات منذ المقاومات الشعبية ووصولا إلى الثورة التحريرية، واصل نضاله من أجل تحرير العقول وتحقيق الإستقلال الشامل.

لقد عاش الشيخ حماني مرحلة الاستقلال، ونذر نفسه للدفاع عن مقومات الشعب الجزائري بالرغم من مختلف التحولات التي شهدتها البلاد، مستعملا العقل والحكمة،وتمكن بعد الاستقلال مباشرة من التغلغل هو ومجموعة من رجال جمعية العلماء المسلمين في هياكل الدولة الجزائرية لمواصلة تأدية رسالتهم، التي تجسدت في وزارة الشؤون الدينية وإشرافها على ملتقيات الفكر الإسلامي التي أصبحت تعقد سنويا ويحضرها علماء من شتى الملل والنحل وتناقش قضايا لها علاقة بالشخصية الوطنية، وكيفية الحفاظ عليها من المسخ والتشويه.

[74] – المرجع نقسه،ص101.

[75] – المرجع نفسه، ص17.